الفصل الثالث

اليهـــود
والحرب بين الأوس والخزرج

لم تعرف يثرب الاستقرار قط قبل هجرة رسول الله ﷺ إليها فالحرب الدائرة بين الأوس والخزرج تهدد أمنها واستقرارها .

واليهود يمشون بين الحيين بالوقيعة ، حتى لا يتم بينهما صلح ، فما تصالحا إلا كانت الدائرة على اليهود .

وكانت قبيلة الخزرج هي المنتصرة دائمًا في الحرب الدائرة بينهم وبين الأوس وكان عبد الله بن أبي بن سلول دائمًا هو الذي يخرج من أشد المواقف بدهانه وحيلته وشدة نفاقه لأنه كان يريد أن يكون زعيمًا للأوس والخزرج واليهود مع أنه خزرجي كذلك ما هدأت الحرب في يثرب قبل الهجرة قط ...

المشهـــد الأول

الخـزرج تأخـذ الرهـن مـن اليـهود

في حصـن مـن حصـون بـني قريظـة " كعـب بـن أسـد " يجلـس زعمـاؤهم يتشاورون في أمر الأوس إذا أرسلوا إليهم بطلب العون على الخزرج .

وقـد أتـى إلـيهم حيـي بـن أخطـب وكعـب بـن الأشـرف مـن بـني النضـير . وعبد الله بن ضيف وسعد بن صيف من بني قينقاع .

وجلـس زعمـاء بـني قريظـة كعـب بـن أسـد ، ووهـب بـن يهـوذا وزيـد بـن حبيـب يتشاورون في أمر الأوس حيث قد أرسلوا إليهم لطلب العون ..

كعب بن أسد :

يا معشر يهود ، ماذا نحن فاعلون في هذا الأمر الخطير ؟

فمـن يـوم أن أتـى إلينـا قـيس بـن الحطـيم شـاعر الأوس يتـودد إلينـا ويريـد أن نعقـد معهـم حلفًـا لحـرب الخـزرج .. مـن يومهـا وزعمـاء الخـزرج لا ينـامون فهـم يرسلون إلينا كل يوم يهددوننا ويتوعدوننا بالحرب .

وهب بن يهوذا :

وليـت الأمـر ينتهـي إلى حـد التهديـد بـالحرب بـل إن شـاعرهم حسـان بـن ثابـت يهجونا بقصائده وشعره .

كعب بن الأشرف :

دعونـا مـن هـذا فقـد أرسـلنا إلى حضـير بـن أسـد زعـيم الخـزرج أنـه لا حلـف بيننـا وبـين الأوس ولا نصـرة لأحـد ... فـنحن معشـر اليهـود لسـنا أهـل حـرب وعـداوة بـل أهل أمان وسلام ...

سعد بن صيف :

يا بن الأشرف ، إن زعماء الخزرج لا يصدقون هذا الكلام ولم تعد تنفع معهم الوعود فهم يعرفوننا جيدًا من أفعالنا معهم ، فكم من مرة واعدناهم وأخلفنا الوعد..

وهب بن يهوذا :

يبدو أن الخزرج قد أعدت العدة لحربنا ، وهذا مأسوف يجرنا إلى حرب ضروس لا يعرف أحد نهايتها ولا مداها .

حيي بن أخطب :

وهذه الحرب لسنا على استعداد لها ، وبدلاً من بيع السلاح للأوس والخزرج سنحتاجه نحن وسوف نفقد خيرة شبابنا في الحرب ونحن نعدهم جيدًا لحرب هذا الدين الجديد الذي ظهر في مكة .

وبينما هم يتحدثون إذ بالباب طارق .

الحارس : من الطارق ؟

لبيد بن أعصم من يهود بني رزيق .

أنا يا رجل ، ومعي رجل من الخزرج قد أتى برسالة إلى كعب بن أسد زعيم بني قريظة

كعب بن أسد :

فليدخل على الرحب والسعة كل من أتانا من قبيلة الخزرج .

رسول الخزرج :

إن سيدي حضير بن أسد يبلغكم أنه ستكون بيننا وبينكم حرب في الأيام القادمة .

كعب :

ولماذا ؟ وقد أرسلنا له أنه ليس بيننا وبين أحد وعد ولا عهد ونحن على الحياد لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

رسول الخزرج :

إنه يقول لا أمان لكم ولا وعد فيما تقولون . ويريد منكم دليلاً على صدقكم .

كعب بن أسد : وما هذا الدليل يا رجل ؟

رسول الخزرج :

أن تعطونا رهائن من عندكم صبية صغارًا يمكثون عندنا في بيوتنا ويسكنون معنا .

حيي بن أخطب : رهائن ماذا تقول يا رجل ؟ ولماذا هذه الرهائن ؟

رسول الخزرج :

حتى لا تغيروا علينا مع الأوس فإذا حدث ذلك قدمنا غلمانكم فقتلتموهم.

قال كعب بن أسد : لمن حوله من الحضور

وما رأيكم يا قوم هل سنرسل لهم رهائن .

سعد بن صيف :

يا قوم إن لم نرسل لهم ما يريدون من رهائن فسوف ندخل معهم في حرب لا قبل لنا بها .

سعد بن صيف :

أنا أرى أن نعطيهم أربعين غلامًا من بيننا رهينة ، يسكنون معهم فترة من الزمن حتى يطمئنوا ويصدقونا فإذا تأكدوا أخذنا غلمانهم مرة ثانية .

حيي بن أخطب :

ومن أين نجمع هؤلاء الغلمان أعطوهم أنتم من أولادكم أما بنو النضير فلسنا في غنى عنهم .

لبيد بن أعصم :

ولماذا يا حيي ؟ هل ستنقض العهد الذي بيننا معشر اليهود ؟ فإذا كنا ننقض العهود مع الآخرين " الأميين " وقلنا : " ليس علينا في الأميين سبيل " هل سيكون ذلك بيننا وبين بعضنا البعض ؟

كعب بن أسد " يلتفت إلى رسول الخزرج " قائلاً :

يا رجل بلغ سيد الخزرج وكبيرهم وزعيمهم أننا سوف نرسل لكم مع حلول الظلام أربعين غلامًا منا يوزعون على دياركم حتى تطمئنوا ولكن نريد منكم أن تحسنوا استقبالهم وضيافتهم .

رسول الخزرج :

على الرحب والسعة ، ونحن في انتظاركم وسأبلغ سيدي حضيرًا بذلك.

وانصرف رسول الخزرج وأخذوا يتشاورون في أمرهم .

حيي بن أخطب :

أنا أرى أن لا نرسل لهم أي رهينة ولا نسلمهم أولادنا لأننا إذا أعطيناهم أولادنا طبعوهم بطباع الأميين فإذا حدث ذلك فسوف يخرج من نسل اليهود من يعترف بالمعاهدات والأمانة والعدل وهذا لا يخدمنا في حربنا القادمة مع الدين الجديد .

سعد بن صيف :

وماذا ونحن قد أعطيناهم كلمة وهذه المرة لا يحق لنا أن ننبذ العهد فنحن قد تعلمنا أن نقض العهد عندما نكون في نصرة ، ومنعة من العدو ...

حيي بن أخطب :

يا معشر يهود إننا إذا تحالفنا مع الأوس ضد الخزرج صرنا قوة لا يستهان بها وفي هذه الحالة لا نرسل أي رهائن لهم .

كعب بن أسيد :

يا معشر يهود إن هذه المرة لا تتحمل المهاترات فأرجو أن تجمعوا لنا أربعين غلامًا لنرسلهم رهائن حتى نأمن غدر الخزرج .. فإذا قوينا أخذنا أولادنا من عندهم ...

المشهد الثاني

" فشل الأوس في التحالف مع قريش "

أيست الأوس من نصرة اليهود فجلسوا يتشاورون سرًّا مع من يتحالفون؟ فأجمعوا على الذهاب إلى قريش ... فأظهروا أنهم يريدون العمرة ، وكان بين الأوس والخزرج أن من أراد حجًّا أو عمرة لم يعارضه أحد ، فأجار أموالهم من بعدهم البراء بن معرور. وخرج قيس ابن الخطيم مع الأوس يطلبون الحلف من قريش ... ودخلوا مكة فطافوا بالبيت ثم دخلوا دار الندوة ودار بينهم وبين قريش هذا الحوار.

قيس بن الخطيم :

يا معشر قريش لقد أتيناكم ونحن نعرف ما عندكم من شهامة وشجاعة ونبل خلق وعظم كرم ...

أبو لهب :

ونحن عند حسن الظن يا زعيم الأوس وسيدها ماذا تريدون منا ونحن لما تطلبونه غير رافضين .

قيس :

جئنا إليكم يَحْدُونا الأمل ، ويسبقنا الشوق ، لنتعاهد معكم على النصرة والمنعة ضد الخزرج ، فنحن كما تعرفون عنا بيثرب عددنا قليل ولطالما جارو علينا وآذونا ..

أبو لهب : ينظر إلى أعلى :

يا معشر قريش إن قبيلة الأوس وعلى رأسهم سيدهم قيس بن الخطيم أتوا إلينا يستجيرون بنا لما رأوه فينا من شهامة وشجاعة ونحن ما استجار بنا أحد إلا وأجرناه ونصرناه ...

أبـو جهـل :

أنا أرى أن ننتظر الوليد بن المغيرة حتى ولو وافق القوم على ذلك..

عقبة بـن معيط :

نعم الرأي يا أبا جهل ، إننا ننتظر حتى نتشاور في هذا الأمر لأنه ليس أمرًا سهلاً فنحن إذا أعطينا لكبير الأوس رأيًا وعاهدناهم على ذلك فلن نستطيع أن ننسحب منه ...

مطعم بـن عـدي :

يا أبا الحكم الرأي لك وأظن أنه لن يتخلف أحد عن الموافقة لأنه سوف يكون لنا أعوان خارج مكة ، فمحمد ابن أخيك يريد أن يجد مكانًا ليهاجر إليه فقد هاجر أصحابه إلى الحبشة وآخرون إلى الطائف ، وقد استجار بي عند عودته من الطائف ثم رد على جواري .. وربما أراد الهجرة إلى يثرب ..

أبـو سفيان:

نعم وفي هذه الحالة نستطيع أن نرده إلينا لأنه سوف يكون لنا أعوان بيثرب يساعدوننا على ذلك .

أبـو لهـب :

إذن فلنأخذ الموافقة على ذلك فهل توافقون يا معشر قريش على أن نتحالف مع قبيلة الأوس بيثرب ضد قبيلة الخزرج وننصرهم عليهم .

مطعم بـن عـدي : نحن موافقون يا أبا الحكم .

قيـس :

إذن نتعاهد على ذلك ونقسم باللات والعزى ومناة أن تمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم وأهليكم .

أبـو لهـب :

عاهدناك على ذلك ، وأقسمنا باللات والعزى ومناة على ذلك ..

قيـس :

هيـا بنـا يـا معشـر الأوس لنطـوف بالبيـت ، حتـى نعـود إلى يثـرب مستبشـرين وبعـدما خرجـوا أقبـل الوليـد بـن المغـيرة مـن سـفره وقـد علـم بـالحلف الـذي حـدث في دار النـدوة فأسـرع إلى هنـاك حتـى يعـرف مـاذا تم هنـاك .. فعلـم بـأن الحلـف قـد تم بـين قـريش وبـين الأوس فاسـود وجهـه واغتـاظ ممـا حـدث مـن خلـف ظهـره .. فقـال : يا قوم ، ماذا فعلتم في هذا الحلف أتحالفتم مع الأوس ؟

أبـو لهـب :

نعم لقد تحالفنا معهم لأسباب سوف تعود على قريش بالنفع ..

الوليـد :

وربمـا تعـود عليهم بالضـرر والخسـارة ، ومـا هـي إلا نصـرة لغيرنـا وضـياعُ لأموالنـا وشبابنا.

أبـو جهـل :

ومـاذا تقصـد بهـذا الكـلام يـا بـن المغـيرة لقـد تشـاورنا في ذلـك واسـتتب الأمـر على هذا الحلف فهو رأي الجميع .

أبـو لهـب :- ألك رأي آخر يا بن المغيرة ؟

الوليـد :- ولو كان لي رأي أتأخذون به ؟

أبـو لهـب :- نعم إذا كان رأياً صائباً أخذنا به .

الوليـد :

يـا قـوم واللـات والعـزى مـا نـزل قـوم قـط علـى قـوم إلا أخـذوا شـرفهم وورثـوا ديارهم فاقطعوا حلف الأوس بأي شيء .

عقبة بن المعيط :

إنهم سينالون شرفنا حقاً فكيف يرثوننا أو نرثهم ونحن بمكة وهم في يثرب فهذا الميراث لا أجد له دليلاً .

أبو سفيان :

حقًّا ما تقول يا بن المغيرة إنه لحلف ضار بنا وبمصالحنا ، فقبيلة الخزرج لها نفوذ في يثرب وخارج يثرب ونحن لنا تجارات ومعاملات هنا وهناك . وسوف نجلب لأنفسنا الشر والخسارة والبوار من وراء هذا الحلف.

مطعم بن عدي :

يا قوم لقد تحالفنا مع الأوس وإذا نقضنا العهد تحدثت بنا القبائل فما نقضنا عهدًا من قبل ..

أبو لهب :

إذن سيقول لنا الوليد كيف نتحلل من هذا الحلف دون خزي ولا عار وإلا صرنا حديث الناس جميعًا ..

الوليد يفكر قليلاً ثم يقول : قولوا لهم إنا نسينا شيئًا في هذا الحلف لم نذكره لكم

أبو جهل :- وماذا نسينا ونحن قد كتبنا كل شيء ؟

الوليد :

قولوا لهم إنا قوم إذا كان النساء بالبيت فرأى الرجل امرأة تعجبه قبلها ولمسها بيده .

أبو جهل : وترى هل سيتحللون من حلفهم لهذا الشرط ؟

الوليد :

هم لن يقبلوا هذا الشرط ولن يفرطوا في نسائهم مطلقًا وسوف يتحللون منكم.

المشهـــد الثالـــث

" تحالـف الأوس واليهـود "

ولما قالت قريش للأوس هذا الشرط نفروا منه ، وقالوا : اقطعوا الحلف بيننا وبينكم . فقطعوه وعاد الأوس إلى يثرب وعلى وجوههم السواد وكأن على رؤوسهم الطير . فما وجدوا حليفًا يقف إلى جوارهم في قتال الخزرج ولما عادوا إلى يثرب خاف اليهود على أنفسهم من بطش الخزرج فذهب جماعة منهم وهم بنو حارثة وعلى راسهم كنانة بن صوريا إلى يهود خيبر فأقاموا بخيبر سنة كاملة .. أما يهود بنو قريظة والنضر فقد بلغهم تحدي الخزرج لهم واستهزائهم بهم فجلس زعماؤهم في حصن حيي بن أخطب يتشاورون في هذا الأمر .

حيـي بـن أخطـب :

يا بني قريظة وبني النضير ، أنتم تعلمون ما قاله عمرو بن النعمان البياضي زعيم الخزرج ... ومدى الاستهزاء بنا .

عـزال بـن شمويـل :

نعم يا زعيم بني النضير علمنا أنه أقسم أن لا يمس رأسه غسلاً حتى ينزل بني الخزرج منازلنا ويغزونا .

ياسـر بـن أخطـب :

بل تعدى على ما هو أخطر إنه أقسم ليقتلن الرهن وهم الأربعون غلاماً الذي أخذهم الخزرج رهينة حتى لا نحالف الأوس ضدهم .

كعب بن أسد من بني قريظة :

وماذا نحن فاعلون ؟ إننا إن سكتنا سيكون عارًا لليهود ، وتتحدث به الأجيال ، وإلا تكون ملحمة بيننا وبينهم يتحدثون بها الجيل بعد الجيل .

كعب بن الأشرف " من بني النضير" :

إنهم تحدثوا وقالوا شعرًا في جلاء بني حارثة خيبر كما قالوا أشعارًا في أخذهم الرهن من اليهود .

وقالوا كلامًا سخيفًا وأساءوا الأدب معنا إلى حد بعيد .

كعب بن أسد " القرظي " :

إنه من العار أن نسكت عن ذلك .

حيي بن أخطب : وماذا ترون يا معشر اليهود ؟

كعب بن أسد :

أما لو تحالفنا مع الأوس ضدهم وأرسلنا إلى بني حارثة وإلى زعيمهم كنانة ابن صوريا ليأتوا من خيبر وينضموا إلى الحلف ونحن بذلك سنكون جبهة كبيرة .

حيي بن أخطب :

لو فعلنا ذلك لانتصرنا عليهم ولقناهم درسًا لا يُنسى

كعب بن الأشرف :

نعم ، إنَّا يا معشر اليهود ، نملك المال والسلاح ونحن تجار يثرب وبيدنا المعاملات فلو طلب كل واحد منا ماله من مال عند الخزرج لأثر ذلك على حالتهم لحاجتهم إلى المال .

حيي بن أخطب :

وماذا أنتم فاعلون يا بني قريظة ؟

كعب بن أسد :

نعم نحن بنى قريظة والنضير - لنا غزارٍ المياه ونملك الآبار في يثرب ، بل ولنا الأعداد الكثيرة من النخل .. وأعتقد أن قومًا لهم كل هذه المقومات ويملكون الماء والغذاء لا يهددهم أو يلوي عنقهم أحد ..

حيي بن أخطب : نعم الرأي ما رأيتم يا بني النضير ؟

سلامة بن أبي الحقيق :

وماذا لو قتلوا الرهن وهم أعز ما لدينا فهم أمل المستقبل وبهم سوف نحارب الدين الجديد ونقضي عليه .

كعب بن أسد :

لقد مر على الرهناء تسعة أشهر ونحن قد اتفقنا على سنة وسوف نذهب إلى عبد الله بن أبي بن سلول كي يردوا إلينا الرهن .

سلامة بن أبي الحقيق :

حقًّا لقد مضت مدة تسعة أشهر ولكنها ليست كافية ولن يسلمونا الرهن.

كعب بن أسد:

سوف نقول لهم إننا لم نتعاهد مع الأوس وقد مضت مدة كافية ولو كنا نريد ذلك لتحالفنا معهم .

حيي بن أخطب :

إننا لن نذهب إلى عبد الله بن سلول إلا بعد أن نرسل إلى الأوس سرًّا ونتحالف معهم حتى إذا رفضوا تسليم الرهائن دخلنا معهم الحرب .

سلام بن مشكم :

يا سيدي ، لقد أرسلنا إلى حضير بن أسد زعيم الأوس وربما قد يصل الآن .

الخـــادم : يا سيدي إن حضير بن أسد زعيم الأوس بالباب .

حيـــي : أدخله على الفور يا غلام .

حضيـــر : عمتم مساءً يا معشر اليهود .

حيـــي :

مـاذا وراءك يـا حضـير كنـا نريـد أن نحضـر إلـيكم الآن كـي نتفـق علـى حلـف ضد الخزرج . ولكن نريد أن يكون سرًّا .

حضيـــر : ولماذا يكون الحلف سرًّا ؟

حيـــي : حتى لا يعلم الخزرج ويقتلوا الرهن الذي عندهم .

حضيـــر :

يـا معشـر اليهـود إن الخـزرج قـد علمـوا بهـذا الحلـف فعـلاً فقـد أخـذوا في قتـل الرهائن فور علمهم .

حيـــي :

ومـن الـذي أعلـم الخـزرج بهـذا الحلـف ألم أقـل لـك يـا سـلام بـن مشكم أرسـل إلى الأوس سرًّا ؟

ســـلام :

لقـد أرسـلت في سـرية تامـة يـا سـيدي ولكـن هـل هنـاك شـيء يخفـى علـى عبـد الله ابن سلول إنه يدس بيننا عيونه بل وفي يثرب كلها حتى يعرف أخبار الجميع .

حيـــي : إذن فلنتعاهد ولكن نقيم حلفًا ضدهم .

حضيـــر : انهضوا فلنأتينهم جميعًا ولتكن حربًا على الجميع .

حيـــي :

من رأى منكم عبد الله بن أبي بن سلول فليقتله وليأتِ برأسه .

المشهد الرابع

" قتل الرهائن "

أخذت قبيلة الخزرج في قتل الغلمان الرهائن الذين كانوا عندهم ، ورفض عبد الله بن أبي بن سلول أن يقتل ما عنده من الرهن .. فجاءت إليه الخزرج على رأسهم زعيمهم عمرو بن النعمان واقتحموا عليه حصنه ..

عمرو بن النعمان : في حدة

يا عبد الله مالك لا تقتل الرهن الذي عندك ؟

عبد الله :

ولماذا أقتلهم يا عمرو ، وهم عندي رهائن وودائع ؟

ومنذ متى عرف عن العرب أنهم يقتلون الودائع ؟

ثم من الذي جعلكم تقتحمون على حصني دون إذن ؟

عمرو :

أما علمت أن اليهود قد غدروا بالحلف ونقضوا العهد الذي بيننا وبينهم.. وحالفوا الأوس وهم يستعدون الآن لحربنا .

عبادة بن الصامت :

دعه يا عمرو فإنه يريد أن يكون حاكمًا على يثرب فهو يكسب ود اليهود والأوس على حساب قبيلة الخزرج .

عبد الله :

والله لا أغدرهم أبدًا وانتم البغاة وقد بلغني أن الأوس تقول : منعونا الحياة فيمنعونا الموت ..

والله ما يموتون أو تهلكون عامتكم .

عمرو : يكاد الغيظ الشديد يفصد عروقه .

والله يا عبد الله لقد انتفخ سحرك .

عبـد الله : في ضيق شديد

اغربوا عن وجهي فلست في حاجة إلى حرب ودم .

عبـادة : نريد منك الآن أن تحدد موقفك : أمعنا أم علينا ؟

عمـرو :

ماذا تقول يا عبادة أيمتنع عن نصرة قبيلته وعشيرته أيساوي شيئاً بدونها؟

عبد الله : مقاطعاً عمرًا :

إنـي لا أحضـركم ولا أحـارب معكـم ضـدهم أبـدًا وكفـاني أنظـر إليـك قتـيلاً يحملك أربعة من الرجال في كساء .

عمـرو :

والله يـا بـن سلول لـن نـدعك تنـافق وتخـادع ولـن نتركك تضـع التـاج الـذي طالما حلمـت بـه علـى رأسك وإن الموعـد لقريـب بعـد مـا نصـفي حسـابنا مـع اليهـود الخونـة ومع الأوس وننتصر عليهم هيا بنا يا رجال نستعد لحرب بعاث .

انصـرف الخـزرج مـن عنـد عبـد الله بـن سـلول يعـدون أنفسـهم للحـرب وجلـس عبـد الله بـن أبـي يفكـر كيـف يصـنع في هـذه الفتنـة فـلا يريـد حربًـا ولا دمـاء حتـى يتحقق له حلم الرياسة على يثرب .

الزوجة جميلة بنت أبي :

مـاذا دهـاك يـا رجـل أتـترك قبيلتـك تحـارب وتواجـه الخطـر وتجلـس في البيـت كما يجلس النساء .

عبد الله :

إنه لأحمق يريدها حربًا تأكل الأخضر واليابس والحرب ليست في مصلحتنا يا زوجتي .

جميلة بنت أبي :

وماذا أنت فاعل يا بن سلول إذا ما نشبت الحرب بين الخزرج وبين اليهود والأوس وقد تحالف الأوس مع اليهود ضدكم .

عبد الله :

حربًا لا تقولي هكذا " لو حدث ذلك فسيكون سوادًا على رأس بن سلول ضاع المجد وضاعت الشهرة بسبب حماقة الخزرج قبيلتي .

جميلة بنت أبي :

دعنا من أحلامك هذه ، وفكر فيما نحن فيه وماذا نفعل بالرهائن التي عندنا من اليهود .

عبد الله :

ماذا تقولين يا امرأة ؟ لا يمسهم أحد بسوء أبدًا إنهم عندنا لحمايتنا من اليهود والأوس عندما ينتصرون .

زوجته :

يا زوجي لقد سمعت أنهم سوف يبايعون عمرو بن النعمان البياضي على الرياسة في حالة انتصارهم على الأوس واليهود أما أنت فاجلس في البيت واندب حظك .

عبد الله : - ماذا تقولين يا امرأة ؟

زوجته :

أقول لا مكان لك بينهم فبعد أن كنت سيد الخزرج وزعيمهم طمعك فيما هو أكثر أفقدك كل شيء .. اجلس بحسرتك يا زوجي ..

عبـد الله :

يـا زوجـتي بـدلاً مـن أن تنـدبي وتنـوحي .. فكـري لـي في طريقـة كـي أخمـد بهـا هذه الفتنة التي سوف تحدث .

زوجتـه :-

يـا عبـد الله ، أيـن ذهـب تفكـيرك ودهـاؤك وحيلتـك ؟ لقـد كـان الجميـع يستشيرك..

عبـد الله :- لقد شل عقلي وتفكيري فلا أستطيع أن أفعل شيئًا .

زوجتـه :

وفي أي شـيء تفكـر ؟ ومـاذا يفيـد الـتفكير وقـد اجتمـع مشـايخ قومـك ورأوا أنـه لابد من الحرب ضد الأوس وحلفائها من اليهود ؟

عبـد الله :

تبًّا لهم إنهم لا يقدرون الأمور إن الحرب لا تأتي بخير فما أتت إلا بالدمار والهلاك .

زوجتـه :

يـا عبـد الله قـم وسـلم الـرهن لقبيلتـك وانضـم إلـيهم لأنهـم سـوف يقتلونـك في حالة النصر على العدو..

عبـد الله :

اسـكتي يـا امـرأة واتـركيني وحـدي .. إن الحسـد والحقـد والغـيظ يـنهش قلـبي إنـي لا أطمع في زعامة الخزرج فقط ولا يهمني الخزرج الآن .

زوجتـه :- يا عبد الله لقد قامت الحرب بالفعل كما تسمع.

عبد الله في خوف شديد :

نادي على الخدم يا زوجتي لكي يغلقوا علينا الحصن فلا يدخل أحد .

زوجتـه :

اجلـس في بيتـك كمـا تجلـس النسـاء فلـن نغلـق عليـك البيـت . ويـا ليـت قومـك يقتلونك ويخلصونا من كذبك ونفاقك.

المشهـــد الخامـــس

" يـــوم بعـــاث "

ومكث عبد الله بن أبي بن سلول في حصنه يفكر في حيلة يخرج بها من هذا المأزق الذي وضعته فيه قبيلته فقد كانت الظروف أقوى من تفكيره والمواقف أقوى من مكره ودهائه ...

وما هي إلا ساعات قلائل والتقى الفريقان الأوس وحلفاؤهم من اليهود ضد الخزرج ودارت قتال رهيب بين الجانبين وكان ذلك يوم " بعاث " وراح قيس ابن الخطيم زعيم الأوس يحمس قبيلته على الأخذ بالثأر من هؤلاء فطالما انتصروا عليهم وخذلوهم . ومشى بين الصفوف ينظم الرجال . بينما حيي بن أخطب يحرض اليهود على إظهار روح الشجاعة أمام الأوس وأن يجعلوا الأوس في المقدمة دون أن يشعر بهم أحد .. ودارت رحى الحرب بين الجانبين .

وأخذ قيس بن الخطيم زعيم الأوس يصول ويجول بين صفوف أعدائه يقطع الرقاب ويطعن القلوب وكانت الدبرة والعاقبة الوخيمة على الخزرج وقتل عمرو بن النعمان وجيء به تحمله أربعة ..

وحلفت اليهود لتهد من حصن عبد الله بن أبي بن سلول فمشوا إلى الحصن ومعهم أبو عمرو الراهب وأحاطوا بالحصن من كل جانب .

ونـــاداه عمرو الراهب :

يا عبد الله ، اخرج إلينا ، أما علمت ما حدث لقومك ؟ أتريد يا منافق أن تكون رئيسًا على يثرب بمكرك ودهائك ؟ هيهات ....هيهات .

قيس بن الخطيم : ينادي :

يا بن سلول أما رأيت اليوم ما حدث لعمرو بن النعمان البياضي الذي جعل نفسه زعيمًا على الخزرج ..

لقد قتل وحمله أربعة في كساء كما أخبرته ..

ويا ليتك يا بن سلول كنت معهم .. ولكن سوف نهدم عليك حصنك الآن ..

حيي بن أخطب :

يا بن سلول ، أقتلتم الرهن ؟ أتقتلون الغلمان ؟

عبد الله بن سلول : ينظر من نافذة في حصنه :

يا معشر الأوس .. يا معشر اليهود.. أنا لم أحضر معهم ولم أشاركهم في القتال وقد نهيتهم عن ذلك .

قيس بن الخطيم :

لم تحضر المعركة لأنك جبان ومنافق وأمثالك لا يستطيعون المواجهة.

حيي بن أخطب :

يا بن سلول إذا لم تنزل إلينا في هذه اللحظة هدمنا عليك حصنك وقتلناك جزاء قتلك الرهائن .

ابن سلول :

هؤلاء أولادكم الذين عندي فإنني لم أقتل منهم أحدا ووالله لقد نهيت الخزرج عن قتل الرهائن فعصوني .

قيس بن الخطيم :

أخرج لنا الأولاد وسوف نبر بقسمنا .. سنهدم الحصن عليك ونقتلك.

عبد الله بن سلول :

يا حيي بن أخطب : يا زعيم بني النضير يا كعب بن أسد يا زعيم بني قريظة إن أولادكم عندي أمانة وأنا لم أمسهم بسوء فكيف تقتلوني وأنا لم أخنكم قط .. ولقد حافظت على غلمانكم .. وبذلت كل ما في وسعي مع الخزرج حتى لا يقتلوا الرهن ولكن عمرًا الأحمق رفض ذلك .

حيي بن أخطب :

أما إنك لم تقتل الرهن وحافظت عليه فسوف نبقي على حياتك ولكن بشرط .

ابن سلول :

وما الشرط ؟ إني أوافق على أي شيء تفعلونه غير القتل .

حيي بن أخطب :

تسلمنا الرهن وتخرج من يثرب بلا رجعه فلسنا في حاجة إليك ولا إلى نفاقك .

كعب بن الأشرف :

أما لو خرج ابن سلول وترك يثرب لكون جبهة من المنافقين وحاربنا وربما ذهب إلى النبي الجديد بمكة وانضم إليه وحاول دخول يثرب.

كعب بن أسد :

نعم الرأي يا كعب بن الأشرف ، إننا في حاجة إلى هذا المنافق لحرب الدين الجديد ، أرى أن نبقى على حياته ونتخذه في حوزتنا فسوف نحتاج إليه .

حيي :

أنتم ترون ذلك مع هذا المنافق ولكن لابد وأن نأخذ رأي الأوس فهم شركاؤنا في الحرب .

فما رأيك يا قيس بن الخطيم نقتله أم نبقى عليه ؟

قيـــس :

يـا زعـيم بـني النضـير أنـا أرى أن نأخـذ الغلمـان منـه ثـم نقتلـه شـر قتلـة ولا نخرجه من يثرب لأنه سوف يكون له خطر كبير علينا فيما بعد .

عمـرو الراهـب :

تمهـل يـا زعـيم الأوس إنـه لم يقتـل الـرهن ولم يشـارك في المعركـة هـو وأهـل بيتـه فـإذا قتلنـاهم فنكـون قـد ظلمنـاهم .. فأنـا أرى أن نبقـى علـى حياتـه ونعزلـه في حصـنه فلا يخرج مطلقًا . وإذا احتجنا له في بعض الأمور أرسلنا إليه .

حيـي بـن أخطـب :

إذن نبقي على حياته فهو في جوارنا .

قيـــس :

ما ترونه صالحًا لنا فافعلوه .

حيـي بـن أخطـب :

يـا قـوم ، إن عبـد اللّه بـن سـلول في جوارنـا ولـن يمسسـه أحـد بسـوء انـزل يـا عبـد اللّه مـع الغلمـان ، فأنـت في أمـان.. يـا قـيس بـن الخطـيم بالعهـد الـذي بيننـا وبينكم يكون ابن سلول في جوارنا ..

عبد الله بن سلول : متلعثماً :

أقسـم لكـم بـاللّه أنـي سـأكون عبـدًا لكـم مطيعًـا منفـذًا لجميـع أوامـركم وسـأبذل قصارى جهدي في الحرب معكم ضد هذا الدين الجديد .

حيـي بـن أخطـب :

أرسل لنا الغلمان التي عندك وأنت في أمان وفي جوارنا إلا إذا علمنا عنك سوءًا .